الإمام

رضي الدين الحسن بن محمد الصاغاني

(٥٧٧ ـ ٦٥٠ هـ)

أقدم في بضع صفحات ترجمة أحد النوابغ الذين خلفوا لنا ثروة كبيرة من التآليف الخالدة في اللغة والنحو والأدب ، بل ما قرع اسمه آذان كثير من الناس ، وكان مستوراً في دفات كتبه ؛ لأن كتبه التي اعتمد عليها كبار اللغويين مثل الفيروزآبادي صاحب القاموس ، ومرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس ، ما طُبعت إلى الآن .

هو الإمام رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي ابن اسماعيل العمري القرشي الصاغاني اللاهوريّ . شُهر الصاغانيّ لأن آباءه أتوا من صَغانيان (معرّب جغانيان) وهي ولاية عظيمة فيما وراء النهر ، متصلة الأعمال بترمذ . ولقد كانت قصبتها أيضاً على هذه الاسم ، والنسبة إليها الصَّغانيّ والصاغانيّ أيضاً . والمشاهير منهم أبو بكر محمد بن اسحق الصاغانيّ الفقيه ، وأحمد الصاغاني الذي كان يعمل في مرصد الكواكب لشرف الدولة ، الملك البويهيّ . والإمام الحسن بن محمد الصاغانيّ وغيرهم .

وكان مولده بلاهور ، مدينة كبيرة من بلاد الهند سابقاً ، وعاصمة باكستان الغربية حالاً ، في أيام خسرو ملك الغزنويّ ، وبها ولد سنة ٥٧٧ هـ في يوم الخميس عاشر صفر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعد مولده ترك أبوه لاهور وأقام بغزنة ، قصبة زابلستان ، فنشأ هناك وأخذ عن والده في القرآن والفقه . وارتحل من غزنة إلى بغداد في طلب العلم سنة ٥٩٥ وسنه حينئذ تسع عشرة سنة ، فروى عن كبار العلماء كالنظام محمد بن الحسن المرغيناني وسعيد بن الرزاز وغيرهما حتى انتهت اليه الرياسة في اللغة وفن الأدب مع مشاركة بعلم الحديث والتفسير والفقه . وكان يقول لأصحابه : إحفظوا غريب أبي عبيد القاسم بن سلام ، فمن حفظه ملك الف دينار فإني حفظته فملكتها .

ودخل جزيرة العرب وحج فأقام بمكة مجاوراً مدة وتسمى بالملتجي إلى حرم الله تعالى . وسمع هناك من أبي الفلوح نصر بن أبي الفرج الحصري .

ودخل اليمن سنة ٦١٠ هـ وقرأ هناك معالم السنن للخطابي . وكان يعجب بهذا الكتاب ومصنفه . وكان يقول : إن الخطابي جمع لهذا الكتاب كل علمه . وكان وقوفه في عدن بمسجد ابن البصري ، أحد تجار عدن ، فسمع منه عدد من الفضلاء وانتفعوا به . وكتب بيده عدة نسخ من صحيح البخاري وأوقفها ، وصحب سليمان ابن الفقيه بطّال وأقام معه في عدن فأخذ عنه ، وقد قدم تعز لمدة قصيرة فأخذ عنه بها الشيخ منصور بن الحسن والفقيه أحمد بن علي السردودي وغيرهما .

وعاد الصاغاني إلى مكة سنة ٦١٣ هـ فمكث هناك عامين أو أكثر . ثم دخل بغداد ثانياً سنة ٦١٥ هـ . وزعم بعض العلماء أنه في هذه السنة قدم الصاغاني بغداد أولاً . وقرأ الناس عليه فذاع صيته وعلت شهرته ، فألحقه القاضي محمود ابن أحمد الزنجاني بالمعدلين .

قال ابن الفوطي البغدادي . فلم يحضر مجلس قاضٍ ولا شهد ، بل كان يرسل مشورته حينما تطلب .

ثم أوفده الخليفة الناصر رسولاً إلى السلطان التتمش ، ملك الهند سنة ٦١٧ هـ ، فأقام بها مدة طويلة وسمع من علمائها كسعد الدين حسناباذي وغيره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقدم مكة لأداء النسك ثانياً ، ودخل اليمن ، ثم عاد إلى بغداد سنة ٦٢٤ هـ في خلافة المستنصر بالله ، فأعيد إلى الهند رسولاً في تلك السنة ، وعاد منها خلال سنة ٦٣٧ هـ . فرُتّب شيخاً برباط المرزبانية ، ثم نظر في شرط الشيخ فوجد فيه أن يكون الشيخ شافعياً ، فعزل نفسه لكونه حنفياً ، وذلك في سنة ٦٤٣ هـ .

ثم رُتّب مدرّساً بالمدرسة التتشيّة ، نسبةً إلى خمارتكين التتشيّ ، وخُلع عليه وحضر المدرسة وخطب خطبة فصيحة وذكر عشرة دروس وأنشد عند فراغها :

فهاكم يا سادتي مني دروساً عشره
فأنتم معادن الفضـــــل الكرام البرَرَه
ولست حبراً عالماً لكنهـا محبره
فلتعذروا أخاكم فمثلكم من عذره

وقرأ عليه كثير من العلماء منهم الحافظ شرف الدين الدمياطي ، وعز الدين ابن الوزير العلقمي ، فحظي عند الوزير العلقمي ، وبرسمه صنّف كتاب العباب الزاخر وكتاب مجمع البحرين وكتاب يفعول .

حكى ابن طباطبا العلوي : حدثني ولد الوزير أبو القاسم علي قال : اشتملت خزانة والدي على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب . وصنّف الناس له الكتب . فممن صنف له الصاغاني اللغوي ، صنف له العباب وهو كتاب عظيم كبير في لغة العرب .

وتوفي فجأةً ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ٦٥٠ في بغداد . ودفن بداره في الحريم الظاهري ، وكان قد أوصى بذلك ، بأن يُحمل إلى مكة ويدفن بجوار الفضل بن عياض ، ففعل أولاده ذلك وتولى تجهيزه ودفنه أصحـاب الوزير ، ورثاه عز الدين ابن الوزير بأبيات أولها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تخاطبنا الدنيا خطـاب مناصح وأسماعنا عمـا تقول صوادف
تخوفنـا والأمن حشو قلوبنـا كأن سوانا من عنته المخاوف
وترشدنا أحداثها فنرى الهدى عياناً ولكنا غروراً نخالف
ونرجو من الأيام عدلاً لجهلنا ويقضي بجود صرفها المترادف
هوت بالصّغانيّ الذي لج قدره علواً من الأقدار دهماء قاذف
ليبك عليه العلم إن عاش بعده وتندب إن تبقى النهى والمعارف

قال الحافظ الدمياطيّ : كان شيخاً صالحاً صدوقاً مصوناً عن فضول الكلام ، وإماماً في اللغة والفقه والحديث .

وقال ابن الفوطيّ : كان الشيخ أبو الفضائل الحسن بن محمد الصاغاني شيخ وقته ومقدم أهل زمانه في علم اللغة وفن الأدب وكان زاهداً عابداً كثير الصمت .

وقال السيوطي : قد كان الصاغاني حامل لواء اللغة في زمانه .

وقال ابن أبي مخرمة : كان الصاغاني إماماً كبيراً عالماً عاملاً بارعاً فاضلاً متفنناً كاملاً عارفاً بالنحو واللغة والتفسير والحديث والفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة .

تصانيف الصاغاني :

أما تصانيفه فهي كثيرة وأهم ما بلغ إلينا منها هي :

١ — العباب الزّاخر ودر اللباب الفاخر ، وهو معجم كبير في ٣٠ جزءاً جمعه من أشهر معاجم اللغة ، مرتب حسب أواخر الكلم على طريقة الصحاح ولسان العرب ، ألّفه للوزير ابن العلقمي ، وألحق به تراجم كبار اللغويين . قال السيوطي : وأعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر الصحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، ثم كتاب العباب للرضي الصاغانيّ ، فانتهى منه إلى فصل الباء من باب الميم ، وكتب بخطه بكم ، ولم يتم حتى قال القائل :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان الصَّغانيَّ الذي حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم

قال الفيروز آبادي في خطبة القاموس : ولما أعياني الطلاب شرعت في كتابي الموسوم باللامع المعلوم العجاب ، الجامع بين المحكم والعباب ، فهما غرّتا الكتب المصنَّفة في هذا الباب ، ونيرا براقع الفضل والآداب .

والموجود منه أربعة أجزاء في مكتبتي أيا صوفيا و كوبرلي بالآستانة ، وجزء في دار الكتب المصرية .

٢ — التكملة والذيل والصلة : ألف الصاغاني التكملة على الصحاح ، في ستة أجزاء مرتبة على حسب ترتيب الصحاح ، وقد ذكر فيها ما فات الجوهري ، وهي أكبر حجماً من الصحاح . والموجود منها نسخة في دار الكتب المصرية ، ونسخة في المكتبة السليمانية في اسطنبول ، ونسخة عتيقة في تونس ، ونسخة من الجزء الأول في المتحف البريطاني .

٣ — مجمع البحرين : في اللغة في ١٢ مجلداً ، جمع بين كتاب الصحاح و كتابه التكملة ، فرد ما ذكره أولاً على ما سرده وعلامته ص ، وأردف ما ذكره في التكملة وعلامته ت ، ثم أردفها حاشية التكملة وعلامتها ح .

منه نسخة في دار الكتب المصرية في مجلدين ، وفي مكتبة كوبرلي بالآستانة ، وفي الخزانة الخصوصية بتونس ، وفي المكتبة الأهليـة بباريس وفي جامعة بيتسبرگ ، وفي معهد الدراسة الشرقية في درهام .

٤ — مشارق الأنوار في الحديث : وهو من أحسن كتبه في الحديث ، وقد كتب عليه كثير من العلماء شروحا . وطبع مراراً في الهند ومنه نسخة في المكتبة الأهلية بباريس ، وفي المتحف البريطاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ — مصباح الدجى في الحديث .

٦ — الشمس المنيرة في الحديث .

٧ — الدر الملتقط في تبيين الغلط ، ذكر فيه ما في كتابي الشهاب للقضاعي والنجم للأُمليشي من علم دراية الحديث .

٨ — مناسك الصغاني .

٩ — نقمة الصديان فيما جاء على وزن فعلان . منه نسخة في دار الكتب المصرية وفي مكتبة داماد زاده بإسطنبول .

١٠ — الأحاديث الموضوعة ، منه نسخة في الخزانة التيمورية ، وطبع بالمطبعة البارونية بالجدرية .

١١ — الشوارد في اللغة ، ومنه نسخة في مكتبة داماد زاده باسطنبول .

١٢ — المختصر في العروض ، 〃 〃 〃 〃

١٣ — تعزيز ببتي الحريري ، 〃 〃 〃 〃

١٤ — الانفعال في اللغة ، 〃 〃 〃 〃

١٥ — يفعول في اللغة ، 〃 〃 〃 〃 ونسخة في دار الكتب وأخرجه العلامة حسن حسني عبد الوهاب في تونس سنة ١٩٣٥ م .

١٦ — الأضداد في اللغة ، منه نسخة في برلين وفي مكتبة داماد زاده . وأخرجه الدكتور أوغست هفنر ، وطبع في بيروت سنة ١٩١٣ م .

١٧ — أسماء الغادة في اللغة ، منه نسخة في مكتبة داماد زاده وفي الخزانة التيمورية .

١٨ — أسماء الذئب في اللغة أيضاً ، وطبع بمطبعة أحمد كامل سنة ١٣٢٠ هـ .

١٩ — أسماء الأسد في اللغة ، منه نسخة في الخزانة التيمورية .

٢٠ — خلق الإنسان في اللغة ، منه نسخة في مكتبة داماد زاده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢١ — نوادر اللغة ، ٢٢ — كتاب الأضداد ، ٢٣ — كتاب الافتعال في اللغة ، ٢٤ — التجريد وجمل الصاغاني ، ٢٥ — كتاب السالكين ، ٢٦ — در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة ، ٢٧ — شرح قلادة السمطية في توشيح الدريدية ، ٢٨ — شرح أبيات المفصل ، ٢٩ — شرح البخاري ، ٣٠ — في الضعفاء والمتروكين في رواة الحديث ، ٣١ — فرائض الصاغاني ، ٣٢ — كتاب المفعول ، ٣٣ — كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب .

المراجع

ياقوت الحموي	معجم الأدباء	ط القاهرة	١٩٢٧ م
ابن الطباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي	الفخري	ط القاهرة	١٩٠٦ م
ابن الفُوَطي	الحوادث الجامعة	ط بغداد	١٣٥١ هـ
ابن أبي الوفا	الجواهر المضية	ط حيدرآباد	١٣٣٢ هـ
ابن أبي مخرمة	تاريخ ثغر عدن	ط ليدن	١٩٣٦ م
ابن قطلوبغا	تاج التراجم	ط ليبزك	١٨٦٢ م
السيوطي	المزهر	ط القاهرة	١٣٧٨ هـ
السيوطي	بغية الوعاة	ط القاهرة	١٣٢٦ هـ
ابن العماد	شذرات الذهب	ط القاهرة	١٣٥١ هـ
عبد الحي اللكنوي	الفوائد البهية	ط القاهرة	١٣٢٤ هـ
بروكلمان	تاريخ الأدب العربي	ط ليدن	١٩٤٣ م

حيدرآباد — باكستان الغربية صمد علي نجم القادري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net